

سورة الحديد (الآيات: 15-18)

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف حال المؤمنين والكافرين يوم القيامة.
- 2- أن أستنتج فضل الإيمان والعمل الصالح في نجاة الإنسان في الآخرة.
- 3- أن أتعظ بتلاوة القرآن الكريم ليخضع قلبي لذكر الله.

تمهيد

بعد أن بين الله تعالى بعض أحوال المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، أتبعه بنذب المؤمنين إلى الخشوع لذكر الله، وحذرهم من أن تقسو قلوبهم إن هم ابتعدوا عنه وعن ملازمة كتابه، فأهملوا أوامره ونواهيه، مبينا جزاء المؤمنين المتصدقين وجزاء الكافرين يوم القيامة.

فلماذا حث القرآن الكريم على الخشوع لذكر الله؟ وما أثر هذا الخشوع على سلوك المؤمنين؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ارْخَصْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَكُذَّبَ عَلَيْهِمْ أَلْهَامُهُمْ فَنَسُوا قُلُوبَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُخَيِّمُ عَلَى الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ أَفَدَيْتَنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾

إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَفْرُصُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَعْمُهُمْ وَلَعْمُهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَعْمُهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ [سورة الحديد: 15-18]

الفهم

الشرح:

يَا: يحن.

تَشْتَع: تخشى وتخاف.

لَعْمُ اللَّهِ: القرآن أو الذكر، أو التذكير بالمواعظ.

الْعَمَلُ: مدة الحياة.

استخلاص مضامين الآيات:

1- علام حث القرآن الكريم في بداية الآيات؟

2- فيم قارن القرآن الكريم بين المصدقين والمكذبين؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: حث المؤمنين على الخشوع لذكر الله:

بعد أن ذكر الله تعالى الفرق بين أحوال المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، أردف ذلك ببحث المؤمنين على الخشوع لذكر الله، فقال تعالى: ﴿الْمُؤْمِنُونَ عَلَى الْخُشُوعِ لَذِكْرِ اللَّهِ فُلُوبُهُمْ

لِيُكْرِ اللَّهَ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴿١٨٨﴾ معنى ألم يأن: ألم يحن. يقال: أنى الأمر يأنى إذا حان وقته، وقوله: ﴿لِيُكْرِ اللَّهَ﴾ يحتمل أن يريد به القرآن أو الذكر، أو التذكير بالمواعظ، وهذه آية موعظة وتذكير، قال ابن عباس: عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاث عشر سنة من نزول القرآن، وسمع الفضيل بن عياض قارئاً يقرأ هذه الآية فقال: قد آن، فكان سبب رجوعه إلى الله.

وقوله: ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ والمراد به القرآن الكريم، قال البيضاوي: «وهو عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر» [تفسير البيضاوي: 1/188]

ثم حذرهم الله تعالى من ترك الخشوع لذكر الله فقال: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ قوله: ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ معطوف على ﴿أَنْ تَخْشَعَ﴾ ويحتمل أن يكون نهياً، والمراد التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب في ما تقدمت الإشارة إليه من ترك الخشوع ﴿فَكَهَالٍ عَلَيْهِمُ الْعَمْدُ﴾ أي: فطالت عليهم مدة الحياة وقيل: انتظار القيامة، وقيل انتظار الفتح، والأول أظهر ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ قال ابن كثير: «أي: فسدت قلوبهم فقسست، وصار من سجيته تحريف الكلم عن مواضعه، وتركوا الأعمال التي أمروا بها، وارتكبوا ما نهوا عنه؛ ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية». [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 20/8]

ثم ضرب المثل لتأثير المواعظ وتلاوة القرآن في القلوب فقال: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ بَالِغُونَ إِلَيْكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات، وقيل: إنه تمثيل للقلوب أي: يحيي الله القلوب بالمواعظ كما يحيي الأرض بالمطر، وفي هذا تأنيس للمؤمنين الذين ندبوا إلى أن تخشع قلوبهم، والأول أظهر وأرجح؛ لأنه الحقيقة ﴿فَدَبَّيْنَا لَكُمْ آيَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: بينا لكم البراهين الدالة على قدرة الله لتعقلوا وتتدبروا.

ثانياً: جزاء المتصدقين والصديقين:

بعد أن بين الحق سبحانه الفرق بين المؤمنين وغيرهم في يوم القيامة في آيات سابقة، أكد هنا ذلك الفرق فقال: ﴿إِنَّ الْمَصْفِيَ وَالْمَصْفِيَّ قَاتٍ﴾ بتشديد الصاد من الصدقة، وأصله المتصدقين، أدغمت التاء في الصاد، فصارت المصدقين، وقرئت بتخفيف الصاد من التصديق، أي: صدقوا الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿وَأَفْرَضُوا لِلَّهِ فَرْضًا حَسَنًا﴾ معطوف على المعنى، كأنه قال: إن الذين تصدقوا وأقرضوا. والقرض الحسن هو التصديق الخالص الطيب من حلال من غير من ولا أذى. وقد عبر بالقرض تقريبا للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف رد ما أسلف ﴿يُضَاعَفْ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: أن الله تعالى يضاعف لهم الثواب على عملهم ويدخلهم الجنة.

ولما كان من المؤمنين من لا مال له ليتصدق به، أعقب ذلك ببيان فضل المؤمنين مطلقاً، فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ لَهُمُ الصَّدَقَاتُ وَالشُّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الصَّدِيقُونَ مبالغة من الصدق، أو من التصديق، وكونه من الصدق أرجح؛ لأن صيغة فَعِيل لا تبنى إلا من فعل ثلاثي في الأكثر، وقد حكى بناؤها من رباعي كقولهم: رجل مَسِيكٍ من أمسك ﴿وَالشُّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون الشهاداء مبتدأ، وخبره ما بعده، أو يكون معطوفاً على الصديقين، فإن كان مبتدأ، ففي المعنى قولان: أحدهما: أنه جمع شهيد في سبيل الله، فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم. وثانيهما: أنه جمع شاهد، ويراد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم يشهدون على قومهم.

وإن كان معطوفاً ففي المعنى قولان، أحدهما: أنه جمع شهيد، فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء، أي: جمعوا الوصفين. وروي في هذا المعنى أن رسول الله

ﷺ قال: «مُؤْمِنُو أُمَّتِي شُهَدَاءُ» ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية [جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري: 192/23]، وثانيهما: أنه جمع شاهد؛ لأن المؤمنين يشهدون على الناس كقوله تعالى: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: 142]

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَفَعْنَاهُمْ وَنَوَّزْنَاهُمْ﴾ هذا خبر عن الشهداء خاصة إن كان مبتدأ، أو خبر عن المؤمنين إن كان الشهداء معطوفاً، ونورهم هو النور الذي يكون لهم يوم القيامة، وقيل: هو عبارة عن الهدى والإيمان.

ولما بين حال المصدقين بين حال الكاذبين فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَأَكْذَبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّجِيمِ﴾ أي: والذين كفروا بالله وأنكروا وجوده ووحدانيته، وكذبوا رسله ولم يعتبروا بآياته أولئك هم أصحاب الجحيم.

ثالثاً: مقاصد الآيات:

تقرر هذه الآيات عدة مقاصد تربوية، منها:

- تزكية النفوس والرقى بالقلوب لتخشع وتطمئن بذكر الله من خلال المداومة على قراءة القرآن وعدم إغفاله.

- الاعتبار بنعم الله وآياته الكونية الدالة على قدرته وجلاله.

- أداء حقوق الفقراء والمحتاجين لنيل ما أعد الله للمتصدقين من أجور مضاعفة.

- عدل الله بين الناس من خلال مجازاته كلا على عمله خيراً كان أو شراً.

التقويم

- 1- ما معنى قوله تعالى: ﴿الْمَرْيَايَ لِلْيَبِزِءِ آمَنُوا أَرْتَشَعُ فَلَوْبُهُمْ لِدِكْرِ اللَّهِ﴾؟
- 2- ما هو إعراب ﴿وَالشُّقْدَاءُ﴾ وما ذا يترتب على ذلك في معنى الآيات؟
- 3- ما هو جزاء المصدقين والمكذابين في الآخرة؟

الاستثمار

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ، مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

[صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- 1- أوضح العلاقة بين مضمون الحديث وبين الآيات موضوع الدرس.
- 2- ما هي أسباب قسوة القلوب في نظرك، وكيف يمكن معالجة هذه القسوة؟

أتأمل الآيات: 19- 23 من سورة الحديد وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **وَزِينَةٌ** - **وَتَقَالُحٌ** - **وَتَكَاثُرٌ** - **سَابِقُونَ** - **نَّبْرَأَقَاءَ** - **مُحْتَالٍ** - **فَغُورٍ**.

2 - أبحث في مسألة القضاء والقدر وعلاقتها بالتكليف والحساب.